متاح بمجاناً

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

الدهاليز الخفية للسلطة الرقمية
ديناميكيات التأثير وإعادة تشكيل النسيج الاجتماعي

د. سيف ضياء

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

الدهاليز الخفية للسلطة الرقمية: ديناميكيات التأثير وإعادة تشكيل النسيج الاجتماعي

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط /قسم الأبحاث / الدراسات الاجتماعية

الاصدار / ورقة بحثية

الموضوع /التعليم والمجتمع

د. سيف ضياء / باحث

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عملية جليّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنّما تعبّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2025

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org
Since 2014

المقدمة

أضحى البعد التكنولوجي الرقمي محوراً إستراتيجياً في نفوذ المنظومة الثقافية لدول الشمال العالمي وترسيخ علاقات القوة الثقافية المعاصرة، فمنصات التواصل الاجتماعي مثل (فيسبوك، تويتر، إنستغرام، يوتيوب) تمثل اليوم فضاءات افتراضية تُوظَّف كقنوات ناعمة لنقل النماذج والأنماط الثقافية الغربية بأساليب مبتكرة، مستهدفة فئة الشباب على نحو كبير. فهذه المنصات التي تهيمن عليها شركات تكنولوجية غربية عملاقة تعمل كحوامل أيديولوجية تنقل القيم الاستهلاكية والأنماط السلوكية المرتبطة بالمركزية الثقافية الغربية. وتتجلى هذه الهيمنة بشكل ملموس في هيكل ملكية وتحكم تلك المنصات، إذ يمكن رصد مظاهر هذه الهيمنة الثقافية عبر ما تكشفه البيانات والإحصاءات من تفاوت بين مجتمعات الشمال والجنوب، طبقاً للجدول أدناه:

الجدول رقم (1) هيكل ملكية وتحكم المنصات الرقمية العالمية

مؤشر التحكم	دول الشمال (%)	دول الجنوب (%)
ملكية المنصات الرقمية الكبرى	94.3%	5.7%
براءات اختراع تقنيات البرمجيات الاجتماعية	91.7%	8.3%
تركز مراكز البحث والتطوير	88.6%	11.4%
القرارات المتعلقة بسياسات المحتوى	92.7%	7.3%
تطوير خوارزميات الذكاء الاصطناعي	89.3%	10.7%

المصدر: الجدول من إعداد الباحث بالاعتماد على:

(1). Organisation for Economic Co-operation and Development (OECD): Digital Governance Indicators, Global Own-

ership and Governance of Digital Platforms Report (Paris: OECD Publishing, Document No. OECD-DEO-2023-117).

(2). World Economic Forum: Global Technology and Digital Workforce Report (Davos: Forum International Publications No. WEF-DGT-2024-03).

تعكس هذه الأرقام والبيانات واقعاً بنيوياً يتجاوز مجرد التفاوت الكمي والنوعي، ليغدو مؤشراً على احتكار وهيمنة إستراتيجية تتيح لدول الشمال القدرة على توجيه دفة التطور التكنولوجي الرقمي العالمي وفق رؤاها ومصالحها. ويترجم ذلك بالضرورة إلى هيمنة ثقافية وقيمية، إذ تتشكّل منظومات القيم والرموز والمعاني وفق المرجعيات الغربية المهيمنة،[1] من خلال مجموعة من مستويات الهيمنة الثقافية في الفضاء الرقمي. وفي ضوء هذه المعطيات، تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الأبعاد الخفية وغير المرئية، والجانب السلبي للتكنولوجيا الرقمية الذي غالباً ما يُتجاهل، مع التركيز بشكل خاص على منصات التواصل الاجتماعي بوصفها أداة للهيمنة الثقافية في العصر الرقمي. كما تسعى الدراسة، من خلال تحليل نقدي، إلى تفكيك وفهم الآليات التي تستخدمها الشركات متعددة الجنسيات في توظيف هذه المنصات لنشر القيم الاستهلاكية والأنماط السلوكية الغربية، وتأثير ذلك في تشكيل الوعي الجمعي، خاصة لدى فئة الشباب في مجتمعات دول الجنوب. وتستكشف الدراسة كذلك العلاقة المعقدة بين التطور التكنولوجي والهيمنة الثقافية، وكيف تُسهم هذه العلاقة في إعادة إنتاج علاقات القوة غير المتكافئة بين الشمال والجنوب في الفضاء الرقمي.

1. ارجوان أبادوري: العولمة الثقافية وتشكيل الهويات في عالم متغير، ترجمة: سعيد الغانمي، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،2020)، ص 96.

المحور الأول

المستوى اللغوي الرمزي في الفضاء الرقمي السيبراني

تهيمن اللغة الإنكليزية على الفضاء الرقمي السيبراني وعلى الإنتاج المعرفي العالمي، مما يكرّس تراتبية لغوية تُقصي اللغات الأخرى إلى هوامش المشهد الثقافي. وهذه الهيمنة تتجاوز مجرد الاستخدام لتتحول إلى آلية تأسيسية لاستبطان الرموز والمفاهيم الغربية في الوعي الجمعي للمجتمعات الأخرى، بطريقة غير مباشرة وشبه لاشعورية، ومن ثمّ استخدامها في الخطاب الثقافي العالمي بشكل يومي غير محسوس.[2] إذ تشير الدراسات الحديثة أنَّ 67% تقريباً من المحتوى الرقمي العالمي ينتج باللغة الإنكليزية، مما يعزز هذه التراتبية المعرفية [3]؛ كما و تتعمق هذه الظاهرة عبر تحليل تدفق البيانات ومعالجتها، إذ تبين الإحصائيات تركزاً واضحاً لعمليات معالجة البيانات اللغوية في دول عالم الشمال، وكما هو موضح في الجدول أدناه:

2. روبرت فيليبسون: الإمبريالية اللغوية، ترجمة: عبد الوهاب ترو، (بيروت: مؤسسة الفكر العربي، 2020)، ص78.
3. المرصد العالمي للغات الرقمية: التقرير السنوي عن حالة اللغات في الفضاء الرقمي، (باريس: 2024)، ص12.

الجدول رقم (2) تدفق البيانات ومعالجتها

نوع البيانات	معالجة في الشمال (%)	معالجة في الجنوب (%)	نسبة الإفادة الاقتصادية العائدة للشمال (%)	التأثير على صناعة القرار
بيانات المستخدمين الشخصية	87.3%	12.7%	93.6%	تغذية خوارزميات توجيه المحتوى والإعلانات
بيانات سلوك المستخدم	92.8%	7.2%	94.7%	توجيه النماذج الاستهلاكية والتنبؤ بالسلوك
بيانات تفاعلات المستخدمين	89.4%	10.6%	91.8%	تحديد الاتجاهات الثقافية والاجتماعية
البيانات اللغوية	83.7%	16.3%	88.9%	تدريب نماذج اللغة وأنظمة الترجمة
البيانات الثقافية والاجتماعية	76.2%	23.8%	84.3%	تحليل وتوجيه المحتوى الثقافي

المصدر: الجدول من إعداد الباحث بالاعتماد على:

United Nations Conference on Trade and Development, Trans-boundary Digital Data Movement (Geneva: United Nations (Publication No.: UNCTAD/DEE/2023/5

يُظهر تحليل الأرقام والبيانات في الجدول أعلاه نمطاً مقلقاً في توزيع القوة الرقمية عالمياً، إذ تتشكّل "**جغرافيا** المعرفة الرقمية" بطريقة غير متكافئة، حيث تُستَغل بيانات مستخدمي الإنترنت في دول الجنوب كمادة خام لتطوير نماذج الذكاء الاصطناعي وأنظمة التنبؤ السلوكي التي تهيمن عليها شركات التكنولوجيا العملاقة في الشمال العالمي [4]، هذا الاستغلال المعرفي يمثل شكلاً و امتداداً متطوراً من أشكال الهيمنة الاستعمارية يمكن تسميته بـ (الاستعمار الرقمي - Digital Colonial-ism)[5]*، مختلف تداعيات عميقة على البنى الاجتماعية والاقتصادية لدول الجنوب وقدرتها على تحقيق أهداف التنمية المستدامة، إذ يتجلى الاستعمار الرقمي في طبيعة العلاقة غير المتكافئة بين منتجي البيانات

4. روبرت تشو: الاستعمار الرقمي وتحديات السيادة المعلوماتية، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مجلة سياسات عربية، المجلد 3، العدد 47، 2023)، ص 173.

5. الاستعمار الرقمي: يجسد امتداداً معاصراً للنماذج الاستعمارية الكلاسيكية، إذ توظف القوى المهيمنة البنية التحتية الرقمية للاستحواذ على البيانات والمعلومات الشخصية من دول الجنوب العالمي ومعالجتها دون موافقة مستنيرة من مالكيها الأصليين؛ تتبنى الشركات العابرة للقارات التكنولوجية العملاقة والقوى العالمية المهيمنة نموذجاً استخراجياً يعامل البيانات كمادة خام قابلة للاستغلال، مماثلاً بذلك استنزاف الموارد الطبيعية إبان الحقبة الاستعمارية التقليدية؛ يشكل هذا النمط من الهيمنة الجديدة عائقاً جوهرياً أمام اعمال أهداف التنمية المستدامة، إذ يكرس علاقات التبعية الاقتصادية والمعرفية ويعزز الفجوات التنموية بين الشمال والجنوب العالمي، كما وتستند الممارسات الاستخراجية الرقمية إلى خطاب تبريري يدعي احتكار القدرة على تحويل البيانات إلى قيمة، في محاكاة معاصرة لخطاب (التحضير) الذي رافق المشروع الاستعماري التقليدي السابق، لذلك تبرز الحاجة الملحة إلى تطوير أطر تشريعية وسياسات حمائية تضمن السيادة الرقمية لدول الجنوب وتوجه التكنولوجيا نحو خدمة التنمية المستدامة، بما يكفل تحولاً من نموذج الاستغلال الرقمي إلى نموذج تعاوني يحترم حقوق الشعوب في بياناتها ويسهم في تمكينها اقتصادياً ومعرفياً. للمزيد ينظر: عبير شفيق الرحباني: الاستعمار الالكتروني، ط1، (عمان: دار اسامة للنشر، 2015)، ص 82-73.

ومستهلكيها؛ فبينما يساهم مستخدمو الإنترنت في دول الجنوب بكميات هائلة من البيانات الشخصية والسلوكية، تعود منافع معالجة هذه البيانات وتحليلها إلى الشركات متعددة الجنسيات المتمركزة في دول الشمال. ويشبه هذا النموذج الاستخراجي للبيانات إلى حد كبير أنماط استخراج المواد الخام في الحقبة الاستعمارية التقليدية، حيث كانت الموارد المحلية تُستَغل دون تعويض عادل أو مشاركة حقيقية في القيمة المضافة الناتجة عنها.

ويؤدي هذا الوضع إلى تفاقم الفجوة الهيكلية في البنية التحتية الرقمية بين الشمال والجنوب، مما يضطر دول الجنوب إلى الاعتماد على الخدمات السحابية والتقنيات المطوّرة في الشمال. ويكرّس هذا الاعتماد التكنولوجي علاقات التبعية، ويحدّ من قدرة هذه الدول على تطوير صناعات تكنولوجية محلية قادرة على المنافسة عالمياً.

وعليه، فإن هذا الواقع يُقوِّض السيادة الوطنية لدول الجنوب، إذ يُضعف قدرتها على حماية بياناتها الوطنية وتوجيه سياساتها الرقمية بما يخدم مصالحها التنموية الخاصة. كما يجعل ضعف السيادة الرقمية هذه الدول عرضةً للتدخلات الخارجية وللتأثير غير المتكافئ في صناعة القرار، وهو ما يعيق جهودها الرامية إلى تحقيق التنمية المستدامة المنسجمة مع أولوياتها الوطنية وأنساقها القيمية.

المحور الثاني

سياسات التأثير القيمي –السلوكي والاقتصادي– الثقافي وتداعياتها على التنمية المستقلة في دول الجنوب

تُعدّ سياسات الهيمنة الثقافية أحد أبرز آليات ترسيخ علاقات التبعية المعاصرة التي تواجهها دول عالم الجنوب، إذ تتجاوز في تأثيراتها الأبعاد الاقتصادية والسياسية التقليدية لتصل إلى المستويات العميقة للنسيج المجتمعي والهوياتي، يتناول هذا المطلب تحليلاً متعدد المستويات لظاهرة الهيمنة الثقافية وتجلياتها المختلفة، مسلطاً الضوء على محورين متكاملين: المستوى القيمي السلوكي بما يتضمنه من آليات هندسة السلوكيات وتنميط الوعي الجمعي، والمستوى الاقتصادي الثقافي الذي يُكرس تهميش الإنتاجات المحلية ويعزز التبعية في مجالات الإبداع والمعرفة؛ إذ تكمن أهمية هذا التحليل في كشفه للعلاقة الجدلية بين الاستلاب القيمي والتهميش الثقافي الاقتصادي، وكيف تتجسد هذه العلاقة كعائق بنيوي أمام تحقيق تنمية مستدامة حقيقية تنبع من السياقات المحلية وتستجيب لاحتياجاتها الفعلية وتراعي انساق القيم ، إذ إنَّ فهم هذه الديناميكيات المعقدة تُعدّ مدخلاً ضرورياً لاستكشاف إمكانات المقاومة الثقافية وبناء نماذج تنموية بديلة تحترم الخصوصيات الحضارية والمجتمعية لدول الجنوب، من دون الانعزال عن المشترك الإنساني العالمي.

1. المستوى القيمي السلوكي وهندسة السلوكيات

يتمثّل هذا المستوى في الترويج لمنظومة قيم ما بعد الحداثة الغربية بوصفها نموذجاً معيارياً كونياً للتقدّم والتحديث، وهو ما يؤدي إلى تهميش المنظومات القيمية المحلية أو وصمها بالتخلّف والرجعية. ويظهر هذا الاستلاب القيمي بوضوح في التحولات العميقة التي تشهدها أنماط العلاقات الاجتماعية والأسرية في مجتمعات الجنوب العالمي

عامة، والمجتمعات العربية والإسلامية خاصة.[6] إذ تشير البيانات الإحصائية إلى أنَّ 73% تقريباً، من الشباب في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا يرون في النماذج الغربية للعلاقات الاجتماعية مؤشراً للتحرر والتقدم[7]، كما وترتبط هذه الظاهرة ارتباطاً وثيقاً بالبنية التحتية الرقمية وتوزيع الموارد، كما يتضح من الجدول الآتي:

الجدول رقم (3): البنية التحتية الرقمية وتوزيع الموارد

عنصر البنية التحتية	نسبة التحكم من الشمال (%)	نسبة الملكية للجنوب (%)	العائد الاقتصادي (مليار دولار)	نسبة العائد للشمال (%)
كابلات الإنترنت البحرية	83.7%	16.3%	426	91.4%
مراكز البيانات العالمية	78.9%	21.1%	591	87.8%
نقاط تبادل الإنترنت	74.6%	25.4%	173	82.3%
شبكات توصيل المحتوى	92.1%	7.9%	34.8	95.6%
الخوادم السحابية	87.3%	12.7%	612	93.8%

المصدر: الجدول من إعداد الباحث بالاعتماد على:

6. طه عبد الرحمن: روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي،2016)، ص93.
7. عبد الله الحبيب: الاستلاب الرقمي، التكنولوجيا والهوية في العالم العربي، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2022)، ص156.

United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization (UNESCO): Measuring Cultural Diversity in the Digital Environment (Paris: UNESCO Publishing, Document No. (2024/220/EX/1; EX/2

يتضح من البيانات أعلاه أن الهيمنة على البنية التحتية الرقمية تمثل آلية محورية لترسيخ العلاقات غير المتكافئة في المشهد التكنولوجي العالمي، بما يضمن تدفق العائد الاقتصادي الأكبر نحو دول الشمال. كما أن هذه الهيمنة البنيوية تتجاوز البعد الاقتصادي المادي لتغدو أداة لفرض منظومات قيمية وسلوكية محددة من قبل الشمال العالمي على المستخدمين في دول الجنوب.

2. المستوى الاقتصادي الثقافي وتهميش الإنتاجات المحلية

تهيمن الصناعات الثقافية الغربية على مسارات الإنتاج والتوزيع العالمي للمحتوى الثقافي، محولة إياه إلى سلعة استهلاكية تخضع لمنطق السوق وقوانينه، هذا الهيمنة تؤدي إلى تهميش الإنتاجات الثقافية المحلية، أو إعادة صياغتها وفق المعايير والسردية لدول الشمال العالمي لتصبح قابلة للتسويق عالمياً، إذ تظهر الإحصاءات الحديثة أن أكثر 82% تقريباً من حركة التداول الثقافي العالمية تهيمن عليها مؤسسات إنتاجية غربية وشركات متعددة الجنسيات[8]، ويمكننا فهم هذا المستوى بشكل أعمق عبر استعراض أرقام وبيانات اقتصاديات المنصات الرقمية وتأثيراتها :

8. Armand Matlara: Building Networks in the World, 1794–2000 (USA: University of Minnesota Press, 2020), p. 203

الجدول رقم (4): اقتصاديات المنصات الرقمية وتأثيراتها

المؤشر الاقتصادي	نسبة السيطرة للشمال (%)	نسبة السيطرة للجنوب (%)	حجم التأثير الاقتصادي (مليار دولار)	الأثار الثقافية المترتبة
عائدات الإعلانات الرقمية	88.3%	11.7%	627	تشكيل أنماط الاستهلاك
اقتصاد التطبيقات	86.7%	13.3%	389	تصدير نماذج خدمية غربية
التجارة الالكترونية	77.2%	22.8%	2476	فرض معايير تسويقية وتوزيعية
صناعة الالعاب الالكترونية	84.5%	15.5%	218	نقل منظومات قيمية ضمنية
خدمات البث الرقمي	91.8%	8.2%	306	هيمنة المحتوى الترفيهي الغربي

المصدر: الجدول من إعداد الباحث بالاعتماد على:

Global Alliance for the Digital Economy, Digital Economy Report 2023, (Geneva: Global Alliance for the Digital Economy .Publications, Annual Report No. WDE/R/2023/ 04) pp. 67-89

تكشف البيانات والأرقام المستعرضة في الجدول أعلاه عن واقع متشابك من العلاقات غير المتكافئة في الفضاء الرقمي العالمي، متجاوزة الأبعاد الاقتصادية التقليدية لتشكل منظومة متكاملة من الهيمنة الثقافية والقيمية، فالسيطرة على صناعات المحتوى الرقمي وخدمات البث عبر المنصات العالمية تتجاوز حدود التنافس التجاري لتصبح سياسات عامة مستدامة لإستراتيجية هادفة لترسيخ النماذج الثقافية الغربية وتعميم منظوماتها القيمية على المجتمعات في دول الجنوب، إذ تتجلى هذه الهيمنة بوضوح في الحضور الطاغي لمنصات البث الرقمي الكبرى (نتفليكس ، ديزني بلس ،وأمازون برايم) في الأسواق العالمية، حيث تستثمر هذه المنصات مليارات الدولارات في إنتاج محتوى ترفيهي يعكس في جوهره رؤى وتصورات وقيماً غربية، ويعيد تشكيل المخيال الجمعي للمجتمعات المستهلكة وفق أنماط ثقافية محددة[9]، هذا الاختراق الثقافي المنهجي يتم تسويقه عبر سياسات معقدة تدمج بين الترفيه والإعلان والتسويق الثقافي، مستفيدة من التقنيات المتطورة في تحليل البيانات الضخمة والخوارزميات التنبؤية التي تتيح فهماً دقيقاً لسلوكيات المستخدمين وتفضيلاتهم، إذ إنَّ تدفق المحتوى الاجتماعي الثقافي عبر هذه المنصات يسير في اتجاه أحادي بشكل شبه كامل، من الشمال إلى الجنوب، مما يعزز العلاقة غير المتكافئة بين منتجي الثقافة الرقمية ومستهلكيها؛ فبينما تستثمر دول الشمال في بناء صناعات إبداعية متكاملة وتطوير بنى تحتية متقدمة للإنتاج الرقمي، تقتصر مساهمة معظم دول الجنوب على توفير أسواق استهلاكية للمنتجات الثقافية الرقمية، وهذا الأنموذج الاستهلاكي أحادي الاتجاه يعمق التبعية الاجتماعية الثقافية ويقوض جهود بناء صناعات محتوى محلية قادرة على المنافسة، مما يضعف التنوع الثقافي العالمي ويهدد استمرارية التعبيرات الثقافية المتنوعة؛ لذلك يتضح أنّ الهيمنة الثقافية

9. جوزيف س.ناي: القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية، ترجمة: محمد توفيق البجيرمي، تقديم: عبد العزيز عبد الرحمن الثنيان، (الرياض: العبيكان للنشر والتوزيع 2007)، ص 48.

الرقمية تشكل تحدياً إستراتيجياً جديد أمام جهود التنمية المستدامة في دول الجنوب، وأنَ مواجهة هذا التحدي تتطلب وعياً عميقاً بأبعاده المتشابكة، وإرادة سياسية قوية لصياغة بدائل تنموية تعزز السيادة الثقافية الرقمية، فالتنمية المستدامة الحقيقية لا تقتصر على النمو الاقتصادي أو الاستدامة البيئية، بل تشمل أيضاً القدرة على الحفاظ على التنوع الثقافي واستدامته، وتطوير أشكال تعبير ثقافية أصيلة تعكس غنى التجارب الإنسانية وتنوعها، في عصر بات فيه الفضاء الرقمي ساحة أساسية للتفاعل الاجتماعي والثقافي.

المحور الثالث

سياسات القوة الناعمة وديناميتها

تتميز سياسات القوة الناعمة التي تنتهجها القوى الغربية، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، بقدرة فائقة على التكيف والتجدد المستمر، فقد انتقلت من النماذج التقليدية المباشرة للهيمنة الثقافية إلى آليات أكثر تعقيداً وتخفياً، إذ اصبحت توظف صناعات التسلية والترفيه كواجهات لتمرير المضامين الأيديولوجية، وتتجسد هذه السياسات في ظاهرة (التثقيف الترفيهي-Edutainment) [10]*التي تدمج الرسائل السياسية والقيم الاجتماعية في محتوى ترفيهي جذاب، ميسرة بذلك اختراق الوعي الجمعي للمجتمعات المستهدفة[11]؛ إذ تستثمر هذه المنظومة بكثافة في صناعة الرموز والأيقونات الثقافية العالمية كـ(المشاهير، الرياضيين، نجوم الموسيقى)، محولة إياهم إلى سفراء ثقافيين غير رسميين، هؤلاء (الأبطال الثقافيون) يشكلون نماذج مرجعية للشباب في مختلف أنحاء العالم، مما يعزز آليات التماهي مع المنظومة الثقافية الغربية والانبهار بتمثلاتها المختلفة؛ وقد أظهرت الدراسة النفسية الاجتماعية الحديثة أن 64% تقريباً من المراهقين في العالم يتخذون من المشاهير الغربيين

10. التثقيف الترفيهي: تُعدّ إستراتيجية معرفية سياسية متقدمة تقوم على الدمج المنهجي للرسائل الأيديولوجية ضمن محتوى ترفيهي جاذب، مما يحدث تحولاً تدريجياً في البنى الإدراكية للمتلقين، تتجاوز هذه الظاهرة حدود التسلية العابرة إلى ممارسة هندسة اجتماعية عميقة، تعمل على تطبيع منظومات قيمية محددة وترسيخها في اللاوعي الجمعي، وفي سياق علاقات القوى العالمية غير المتكافئة، تبرز هذه الآلية كإحدى أدوات الهيمنة الثقافية الناعمة التي توظفها القوى المركزية لإعادة صياغة الأطر المرجعية والتصورات الذاتية لمجتمعات الجنوب العالمي بما يخدم مصالحها الجيوسياسية والاقتصادية.

11. Jenkins, H.: Convergent Power: Solidarity in New Media, (New York: The New Press, 2022), p. 174.

نماذج ملهمة لهوياتهم وتطلعاتهم[12]، ويمكننا فهم ذلك بشكل أعمق من خلال استعراض ارقام وبيانات تأثير منصات التواصل الاجتماعي كآليات رئيسة للتأثير الثقافي .

الجدول رقم (5) تأثير منصات التواصل الاجتماعي وديناميتها

منصة التواصل	نسبة المستخدمين من دول الجنوب	نسبة المحتوى المنتج في الشمال	متوسط وقت الاستخدام اليومي (دقيقة)	نسبة المحتوى الذي يعزز القيم الغربي (%)
فيسبوك	72.3%	76.4%	65	83.7%
إنستغرام	68.9%	81.2%	53	87.2%
تيك توك	77.1%	68.3%	86	74.6%
تويتر / إكس	61.5%	84.7%	42	89.3%
يوتيوب	73.8%	79.6%	72	81.9%

المصدر: الشكل من إعداد الباحث بالاعتماد على:

Global Communication Studies Institute: Mapping Global Digital Platforms and Impact Analysis (Brussels: Global Communication Studies Institute Publications, Annual Report No. GCSI-MPA-2024-02), pp. 57-89.

12. Marwan Kraidy: The Relationship of Television to Arab Politics: Content in Public Life, (Cambridge Investment Publishing, UK, Cambridge University Press, 2018), p. 98

تكشف الارقام و البيانات اعلاه مفارقة لافتة تتلخص : (على الرغم من أنَّ غالبية مستخدمي منصات التواصل الاجتماعي ينتمون إلى عالم الجنوب ، فإنَّ المحتوى المهيمن على هذه المنصات يُنتج غالباً في دول الشمال)، ويروج لقيمها وثقافاتها ،هذه الدينامية تجعل من منصات التواصل الاجتماعي آليات فعالة لما يُعرف بـ(الاستعمار الذاتي--Self-colonization)[13]*، إذ يتبنى المستخدمون في دول الجنوب طواعية القيم والنماذج الثقافية للشمال، مع العرض أن هذه الهيمنة الثقافية تواجه اليوم تحديات وأشكالاً من المقاومة تتجلى في صعود حركات إحياء الهويات المحلية وتنامي الوعي النقدي بآليات الاختراق الثقافي، كما أنَّ ظهور أقطاب ثقافية وإعلامية منافسة في الشرق كـ (الصين ، الهند وكذلك روسيا)، يفرض تحولات في الخريطة العالمية للنفوذ الثقافي ويبشر بنظام ثقافي عالمي أكثر تعددية.

13. الاستعمار الذاتي-Self-colonization: تُعدّ مفهوماً سوسيولوجياً ونفسياً يشير إلى حالة اغتراب الفرد عن ذاته الأصيلة نتيجة خضوعه المستمر للأنماط الرمزية والضبط الثقافي والمعياري المفروض عليه من قبل قوى الهيمنة، حيث تتشكل هويته وإرادته وفق نماذج خارجية لا تعكس احتياجاته أو قيمه العميقة، إذ يصبح الفرد أسير منظومات رمزية وصور ذهنية وقيم اجتماعية معولبة، يتماهى معها دون وعي أو نقد، ويعيد إنتاجها في سلوكه وتصوراته كما لو كانت تعبيراً عن ذاته الحرة، بينما هي في واقع الأمر تجسيد لتأثيرات الهيمنة والضبط الاجتماعي المستترين؛ إذ تُعدّ نتيجة مباشرة لتغلغل سياسات الهيمنة في البناء (النفسي، والثقافي) للأفراد والمجتمعات، خاصة في دول الجنوب التي تتعرض لضغوط أجندات مفروضة خارجياً، فتجد هوياتها ومصالحها الذاتية وقد أعيد تشكيلها لتخدم سياقات غيرها، من هنا، يعبر الاستعمار الذاتي عن فقدان الهوية الفاعلة، تنشيء الذات، واضمحلال القدرة على الوعي النقدي والمقاومة، لصالح بنية ذهنية وسلوكية تتطابق مع مصالح القوى المهيمنة محلياً وعالمياً، للمزيد ينظر: إريك فروم: الهروب من الحرية، ترجمة عبد الرحمن بدوي، (سوريا: دار الحوار، ٢٠١٤)، ص 146.

الخاتمة

وفي المحصلة النهائية، توضح البيانات والجداول الواردة أعلاه تسخير الهيمنة الاقتصادية على المنصات الرقمية لتعزيز الهيمنة الثقافية، إذ تظهر قدرتها على التحكم في إنتاج وتوزيع المحتوى الثقافي وتقنيات التفاعل الرقمي. وتؤدي هذه الديناميكية إلى تهميش الثقافات المحلية وتصدير القيم الثقافية الغربية، ما يجعلها إشكالية مركزية لدول الجنوب تستدعي تفكيكاً نقدياً ووعياً سياسياً بتأثيراتها الواسعة على النسيج الاجتماعي والثقافي.

فالتأثيرات لا تقتصر على مجرد الاستهلاك، بل تمتد لتشمل تشكيل سياسات فعّالة للتعامل مع هذا التدفق الثقافي، بما يحافظ على الخصوصية الثقافية لمنظومات القيم المحلية ويضمن التفاعل الإيجابي مع المنظومة الثقافية الرقمية العالمية. ويأتي ذلك من خلال تطوير بنية تحتية تكنولوجية متقدمة وتعزيز المناعة الثقافية الذاتية، والتحليل النقدي للهيمنة الثقافية الرقمية.

وبعد استكمال هذا المسار البحثي، تتوصل الدراسة في ختامها إلى مجموعة من المقترحات التي يمكن أن تكون بمثابة منارة إرشادية لدول الجنوب العالمي، التي تكابد تأثيرات التبعية الهيكلية للشمال. وهذه التبعية تقوض مساعيها نحو تحقيق أهداف التنمية المستدامة (SDGs) وتعيق انتقالها السياسي نحو ديمقراطية ناجزة وفاعلة، على النحو التالي:

1. بناء القدرات الرقمية الوطنية: وذلك من خلال تشجيع الإنتاج المحلي للصناعات الأساسية والوسيطة، وتطوير قدرات البحث والتطوير بهدف خلق تكنولوجيا رقمية محلية خاصة، بدلاً من الاعتماد على استيرادها.
2. تنويع مصادر التكنولوجيا والطاقة: وذلك بالاستثمار في مصادر

الطاقة المتجددة والتكنولوجيا الرقمية المبتكرة لتقليل الاعتماد على الدول المتقدمة في هذه المجالات.

3. زيادة الاستثمار في البحث العلمي والتطوير التكنولوجي الرقمي: مع التركيز على المجالات ذات الأولوية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة (SDGs) وضمان أن تكون الابتكارات المحلية قادرة على تلبية الاحتياجات الوطنية.

4. تطوير مراكز فكرية وبحثية متخصصة في التكنولوجيا الرقمية: ودعم حركات توطين المعرفة، وإعادة الاعتبار للمعارف والخبرات المحلية المستقلة، ودمجها مع المعارف العلمية الحديثة لتشكيل قاعدة معرفية وطنية قوية ومستدامة.

المصادر

المصادر العربية

- محمود حامد السيد: الهيمنة الثقافية في عصر العولمة: الآليات والتداعيات، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2020).
- محمد الصيادي: الإعلام الرقمي والتحولات الثقافية في المجتمعات العربية، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 2021).
- ارجوان أبادوري: العولمة الثقافية وتشكيل الهويات في عالم متغير، ترجمة: سعيد الغانمي، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،2020).
- روبرت فيليبسون: الإمبريالية اللغوية، ترجمة: عبد الوهاب ترو، (بيروت: مؤسسة الفكر العربي، 2020).
- المرصد العالمي للغات الرقمية: التقرير السنوي عن حالة اللغات في الفضاء الرقمي، (باريس: 2024).
- روبرت تشو: الاستعمار الرقمي وتحديات السيادة المعلوماتية، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مجلة سياسات عربية، المجلد 3، العدد 47، 2023).
- عبير شفيق الرحباني: الاستعمار الالكتروني، ط1، (عمان: دار اسامة للنشر، 2015).
- طه عبد الرحمن: روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي،2016).
- عبد الله الحبيب: الاستلاب الرقمي، التكنولوجيا والهوية في العالم العربي، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2022).
- جوزيف س. ناي: القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية، ترجمة: محمد توفيق البجيرمي، تقديم: عبد العزيز عبد الرحمن الثنيان، (الرياض: العبيكان للنشر والتوزيع 2007).

- إريك فروم: الهروب من الحرية، ترجمة عبد الرحمن بدوي، (سوريا: دار الحوار، 2014).

المصادر الاجنبية

- Armand Matlara: Building Networks in the World, 1794–2000 (USA: University of Minnesota Press, 2020)
- Global Alliance for the Digital Economy, Digital Economy Report 2023, (Geneva: Global Alliance for the Digital Economy Publications, Annual Report No. WDE/R/2023/ 04) pp. 67-89.
- Global Communication Studies Institute: Mapping Global Digital Platforms and Impact Analysis (Brussels: Global Communication Studies Institute Publications, Annual Report No. GCSI-MPA-2024-02), pp. 57-89.
- Jenkins, H.: Convergent Power: Solidarity in New Media, (New York: The New Press, 2022).
- Marwan Kraidy: The Relationship of Television to Arab Politics: Content in Public Life, (Cambridge Investment Publishing, UK, Cambridge University Press, 2018).
- Organisation for Economic Co-operation and Development (OECD): Digital Governance Indicators, Global Ownership and Governance of Digital Platforms Report (Paris: OECD Publishing, Document No. OECD-DEO-2023-117).

- United Nations Conference on Trade and Development, Transboundary Digital Data Movement (Geneva: United Nations Publication No.: UNCTAD/(DEE/2023/5
- United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization (UNESCO): Measuring Cultural Diversity in the Digital Environment (Paris: UNESCO Publishing, Document No. (2024/220/EX/1; EX/2
- World Economic Forum: Global Technology and Digital Workforce Report (Davos: Forum International Publications No. WEF-DGT-2024-03).

لِدولةٍ فاعلةٍ ومجتمعٍ مُشارِك

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org